



رسائل الثورة السورية المباركة (56): الجيش الحر هو جيش سوريا الوطنى

رغم أنني أ تعرض إلى انتقادات شديدة وهجوم كاسح كلما نشرت مقالة رفضت فيها التدخل العسكري الأجنبي فسوف أظل متمسكاً بمنطقتي، لسبب واحد أرجو أن يفهمه من لم يفهمه بعد، هو الخوف على مستقبل وحرية سوريا، والحرص على استقلالها أخيراً بعد الذل المريض والاستعباد الطويل اللذين عاشت فيهما حتى اليوم.

يا أيها الناس: لقد استشهد الآلاف حتى اليوم في سبيل استقلال سوريا، فلا تخونوا دماء الشهداء وتسلموا البلد لمن لا يريد بها خيراً. هؤلاء الذي نتسول إليهم دعمهم ونصرتهم هم أعداء الأمس القريب، الذين أمدوا طاغية الشام القديم وطاغيتها الجديد بأسباب البقاء، الذين حمّوه ودعموه دائماً وراقبوه ببلاده ولا مبالاة وهو يُذيق شعبه الأبيّ الحر الخسفة والهوان، الذين ترددوا في الانحياز إلى جانب الشعب المظلوم واستمروا يراقبون ويتسوّفون ويماطلون شهراً بعد شهر وهم يتمنون -في سرّهم- أن يتغلب النظام على شعبه الأبيّ وأن يبقى هو الخادم الوفي للغرب والحارس الأمين لإسرائيل.

لا يا أيها الناس! ما هؤلاء بأمانٍ على ثورتنا وما ينبغي لنا أن نطمئن إليهم ولا أن نثق بهم، وفي اللحظة التي نمنحهم فيها الإذن بالتدخل العسكري سيهبون فرحين لتدمير جيشهنا الوطني حتى لا يبقى لسوريا الحرة غداً جيش يهدد أمن إسرائيل، وسيكونون في غاية الرضا وهم يحطمون البنية التحتية لبلادنا، الطرق والجسور والموانئ والمطارات والمصانع ومحطات الطاقة... ليعودوا بعد ذلك بثياب المنقذين المخلصين لبناء ما دمروه على حسابنا وعلى حساب أولادنا. وقد علمنا مما رأيناهم من تجارب غيرنا: إنهم إذا دخلوا بلداً خربوه وأذلوا أهله ونهبوا موارده وثرواته، ثم لا يكادون يخرجون.

لا نريد أن نطأ أرضنا نعاً جنود من كانوا إلى الأمس القريب أعداءنا وأصدقاء نظامنا المجرم. إن في سوريا من الرجال العظام من هو قادر على القيام بهذه المهمة، هؤلاء هم أبطال جيشهنا الحر، نريد فقط إمدادهم بالدعم والسلاح، على أن ندفع قيمة ما يحصل عليه جيشهنا الحر من مالنا، لا نريده صدقة ولا نقبل منه من أحد علينا، فإنّا نقطع الغذاء عن أنفواه أولادنا وندفع قيمة السلاح الذي يحتاج إليه جيشهنا ولا نرهن مقابلة بلادنا وقرارانا ومستقبلنا ومستقبل أولادنا.

في الشهور الأولى من عمر الثورة استبعد الأكثرون أن يكون للجيش السوري أي تأثير في الأحداث، وذلك اعتماداً على ما يعرفونه عن قياداته من طائفية وولاء شديد للعصابة الحاكمة، ولم أكن أنا من أولئك الأكثرين بحمد الله، بل كانت ثقتي كبيرة

بوطنية عناصر وضباط الجيش، إلا الأقل منهم ارتبطوا بالعصابة الحاكمة ارتباط المصلحة والمصير.

في الثاني من أيار، قبل نحو ستة شهور، نشرت مقالة عنوانها "الأنظار تتجه إلى الجيش" تداولتها موقع كثيرة وما تزال منشورة على المدونة التي تضم كل ما كتبته عن الثورة حتى اليوم، مدونة "الزلزال السوري"، وهي طويلة ولا أستطيع إعادة سرد كل ما فيها، لكنني سأستشهد بفقرتين منها بعد إذن القراء.

قلت في الأولى: "أنا أقرأ وأنتم تقرؤون طول الوقت دراسات وتحليلات تحاول فهم الأزمة والتنبؤ بمصيرها، ولعلكم لاحظتم إجماعاً أو شبه إجماع على أن الجيش في سوريا ليس كالجيش في تونس ومصر، لأنه جيش طائفي كما يقولون، ولذلك صدر الحكم: سيبقى الجيش مع النظام إلى آخر الطريق وسوف يكون قوًّا على الشعب لا معه. وأنا أقول لهؤلاء الدارسين والمحللين: إنكم مخطئون".

ثم قلت في الثانية: "لقد قال أكثر الناس من قبل - العوام منهم والخبراء - إن الشعب السوري لا يمكن أن يثور على حكومته لأنها محكوم بقبضة حديدية، ويقول أكثر الناس اليوم - العوام منهم والخبراء - إن الجيش السوري لا يمكن أن يثور، للأسباب نفسها؛ وأن قياداته كلها من الطائفة الحاكمة. لكن الشعب السوري فاجأهم وثار، فما الذي يمنع الجيش من أن يفاجئهم ويثور؟ بلـ، سيثور الجيش السوري العظيم، على أن ثورته لن تكون ثورة الشعب، فهو لن يخرج إلى الشوارع في مسيرات ولن يهتف بسقوط النظام، وأيضاً لا يتوقع أن يقوم بعض ضباطه بانقلاب، فهذا الأمر في حكم المستحيل لشدة الرقابة والضغط من أجهزة المخابرات والأمن العسكري، هذا أولاً، ثانياً ليس هو المطلوب أصلاً في ثورة الشعب السوري. هذه الثورة السلمية الجماهيرية المباركة لم تصنع كل ما صنعته إلى اليوم من إنجازات وتقدم ما قدمته من تضحيات ليقطع عليها الطريقَ انقلابًّا عسكريًّا يعيينا إلى أول الطريق! لا، كل ما هو مطلوب وما هو متوقع من جيشنا السوري إنما هو نفسه ما قدمه العسكريون الشرفاء إلى اليوم، الذين تمردوا على أوامر قيادتهم ورفضوا قتل إخوانهم المتظاهرين المسلمين".

لقد كان ذلك أملاً فانقلب واقعاً، وكان خيالاً فصار حقيقة. **فليعلم من يمثل ثورتنا وينطق باسمنا، وليلعلم العالم كله بشرقه** وغربه، **أن لنا جيشاً حرًا مستقلاً سوف يحمي اليوم ثورتنا، وسوف يحمي غداً بلادنا - بإذن الله.** هو إلى اليوم صغير في حجمه قليل في عدده، ولكنه منذ الغد كبير كثير - بإذن الله -، فإن الأحرار الكرام من أهل الشرف والمرءة الذين استعبدتهم نظام الأسد وجيشهم ضد أمتهم وببلادهم كثيرون، وهؤلاء مستمرون في الانشقاق على جيش الاحتلال الأسدية في كل يوم، بدؤوا انشقاقهم آحاداً في أول الأمر، ثم صاروا عشرات فمئات، وهم اليوم آلاف وفي الغد عشرات آلاف، فارتقبوا جيشنا القادم من وراء حجاب الغيب، يمدّه بنصره الله القويُّ العزيزُ - بإذنه تعالى -.

وإن في ملايين الأحرار الذين ثاروا على الظلم والاستعباد من يرجو ويترقب يوماً يفتح فيه جيشنا الحر أبواب التطوع ليكونوا في طليعة المتطوعين. قد يتحقق بالجيش ألف أو عشرة آلاف، لن يكون أحدهم أقل طلباً للشهادة من العسكريين الشرفاء الذين انشقوا عن جيش العبيد وأنشروا جيش الأحرار. هؤلاء وأولئك سيكونون رداءً ودرعاً لجمهور الثورة السلمية الكبير الذي يضم الملايين في أنحاء سوريا كلها، وليس أيٌ من الفريقين بأقل شجاعة من صاحبه، لا العسكري أو المتطوع في الجيش وهو يرجو الشهادة ويتحرك تحت مظلة الموت، ولا المتظاهر السلمي الذي يخرج ملتفاً بكفنه واضعاً روحه في كفه، ما يدرى إذا خرج في المظاهرة أيعود حياً يمشي على رجلين أم جثة في نعش يحمله الأصحاب... بارك الله في الفريقين جميعاً وكتب على أيديهما النصر المبين.

يا أيها الناس: إن دعم الجيش الحر من أوجب الواجبات، ليس لمصلحة الثورة اليوم فقط بل لمصلحة سوريا في الغد أيضاً، حتى لا نبقى رهائنَ جيش حزبي أو طائفي يتحكم بحكومة بلادنا الحرة، وحتى لا تكون سوريا ضعيفة أمام التهديد الخارجي من أي طرف كان. **وهذا الدعم مطلوب من جهتين؛ من الثورة في الداخل، ومن المجلس الوطني في الخارج:**

(1) فأما الثورة: فعليها أن ترفع شعار "الجيش السوري الحر هو جيش سوريا الوطني"، وأن يجعل هذا الشعار أساساً لحملة

كبيرة متصلة تصرّح بها لافتات الثورة وهاياها، وأن تضغط على المجلس الوطني ليدعم الجيش الحر على كل المستويات.

(2) وفي مرحلة لاحقة، ذات يوم قريب أو بعيد، سوف يستكمل الجيش الحر -بإذن الله- بناء أساسه وهيكلاً ويدعو إلى التطوع. إنّ قادته وضباطه الكبار أعلم بما يحتاجون إليه من طاقات وخبرات، فربما دعّوا إلى تعبئة جزئية فجمعوا من خدم في سلاح الإشارة مثلاً، أو في الدفاع الجوي أو في القوات الخاصة، وربما وسعوا الباب فدعوا كل راغب في الجهاد مستعد لحمل السلاح، وللسلاح أهله كما أن للثورة السلمية جمهورها، فأجيبوا الداعي كما يدعوكم حين يدعوكم.

(3) وأما المجلس الوطني فمطلوب منه أن يعترف بالجيش اعترافاً رسمياً ويعتبر مجلسه العسكري قيادة عسكرية شرعية في سوريا، وأن يسعى لتأمين ما يحتاج إليه الجيش من مال وسلاح وذخيرة ودعم إعلامي ولوجيستي، بما في ذلك المناطق الآمنة التي يحتاج إليها لإيواء قيادته وكتائبه وتطوير عملياته.

المصدر: موقع الزلزال السوري

المصادر: